[233] لكنّ ـ كلما قلنا سابقاً ـ الانسان عاجز عن الاحاطة الكاملة بأسرار سلطان ا على العالم سواء كان عن طريق الحس أو عن طريق العقل، وتحتاج الاحاطة هذه إلى طريق إدراك آخر، وهو الشهود الباطني، ولهذا السبب يذكر صاحب "في ظلال القرآن": ان المراد من الآية إخبار ابراهيم عن أسرار الخلق الخفية ورفع الحجاب عن آيات كتاب الخلق التي نشرت كي يصل ابراهيم الى درجة اليقين الكامل(1). وتعبير آخر: إن ابراهيم اجتاز مراحل التوحيد الفطري والاستدلالي ـ في البداية ـ من مشاهدته لطلوع الشمسُ وغروبها وطلوع النجوم وافولها، وجاهد المشركين واجتاز درجات التوحيد في ظل هذا الجهاد العظيم، الواحدة تلوا الاخرى، الى أن بلغ مرحلة حيث كشف ا له الحقائق، وهي مرحلة الشهود الباطني. وهناك حديث للامام الصادق(عليه السلام) في هذا المجال يشير فيه الى هذا المعنى حيث يقول: "كُشِط لإبراهيم السموات السبع حتى نظر ما فوق العرش، وكشط له الارضون السبع، وفُعِل لمحمد(صلى ا عليه وآله وسلم) مثل ذلك ..." "والائمة من بعده قد فُعل بهم مثل ذلك"(2). وقد جاء صاحب البرهان بكثير من الآيات في تفسيره هذا المجال، تكشف أن الادراك هذا ليس هو نفس الادراك العقلي أو الحسي، بل ـ وكما صرح صاحب الميزان وأشرنا إليه سابقاً ـ إن الملكوت هي مجموعة الامور التي تتعلق بالذات الربانية من حيث انتمائها الى تلك الذات، وهذا ما شاهده ابراهيم وبلغ به الى أن وصل الى التوحيد الخالص(3). وهناك روايتان نقلتا في تفسير " الدر المنثور " عن أحد صحابة

---

1 - في ظلال القرآن الجزء 39 الصفحة 291. 2 - تفسير البرهان الجزء 1 الصفحة 531 الحديث 2 (ومضمون الحديث الثالث والرابع قريب من مضمون هذا الحديث). 3 - الميزان الجزء 7 الصفحة 178.